ألا فتى الرحمن كل مماذق . يكون أخا في الخفض لا في الشدائد

وكتب أحمد بن إسمعيل الكاتب إلى ميمون بن هرون وأعلمني رسولي
أنك سألته عمن آنس به في ناحيتي ومن في الناس اليوم يؤانس
أو يجالس نحن إلى الأنس منهم أحوج منا إلى الأنس بهم وصورة
الأمر في فسادهم أنه لما كان الدين عمود المحاسن ونظام الفضائل
وعصم الأخلاق وكان الناس قد خلوا وأكثرهم منذ صاروا
يتعاطونه مع المرائين للدين في معاملاتهم ومودّاتهم مدخولا
من جوانبه مختلّ الأوساط والأطراف فلن ترى إلا ذاما مذموما
زاريا مزريا عليه حالفا بالقبيح محلوفا به وحدثت أن رجلا
قال لسفين الثوري أوصني فقال له أقلّ معرفة الناس وأنكر
من تعرفه منهم وابدأ بي واغضب من شئت ودس من يسئله فوالله
لو لاحيت رجلا في رمانة فغضب لما أمنت أن يترامى به
غضبه إلى سفك دمي وافرطا أعزك الله مفرط في هذا الزمان
فقال لا أقول كما قال سفين لنقصان دهرنا عن دهره ولكني أقول
أرض من شئت ودس من يسئله عنك وما أنكر لكثرة الشر في
الناس أن يكون جواب كثير ممن يرضى مثل جواب من يغضب إلا أني
أرجو أن لا تكون هذه القضية عامة وأنشدني بعض الرواة

عمرت مع الناس دهرا طويلا . وصاحبت شبانهم والكهولا
وجربت أحوالهم في الخطوب . فشرّا أكثرا وخيرا قليلا

وهذا إبرهيم بن العباس يطلب الأمان من الإخوان فيقول
لنفسه لو قيل لي خذ أمانا من أعظم الحدثان . لما طلبت أمانا إلا من الإخوان

وأنشدني

العاشر

وأنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الصدق خير من جليس المرء وحده

وهذا العمري كما قال ولكن كيف لنا بجليس الصدق ولربما نفع قرب
العدو وضرّ قرب الصديق وهذا كلام ينكره ظاهره إلى أن يظهر
تفسيره . أما العدو الذي ينفع قربه فهو الذي مقدار ضرره أن يثلب
ويعيب ويجد مطعنا لبذيء وليشنع فإذا قرب عدو وهذه صورته
ممن يعاديه وكله بحراسة نفسه ومراعاة أموره وتحصين
تدبيره وتحسين أفعاله وكان يرصده له رقيبا عليه وإذا رام
تحفظ الإنسان من هذا الرصد وتوقيه هذه الرتبة صلحت أموره
وكان سبب صلاحها قرب هذا العدو منه وإنما صار للعدو ما أثر
ينشر ومفاخر تذكر بتوقيهم المعاير والمعايب في المقاوم والمجامع
ولم يخل أحد قط من ولي موذب أو عدو مؤنب أو تفريع بخطاء
أو تهجين بنقص إلا أهمل نفسه وفي عادة الإهمال الهلاك وقل
من تحفظ فسلم من إضاعة فكيف به إذا أضاع التحفظ من نفسه
وأمنه من غيره وقال بعض المتقدمين لا صلاح للملك إلا بنفسه
ووزرائه وأعدائه يخرجون عليه فيصلح نفسه من أجلهم ومما
دوّنوه من الكلام يجب على العاقل أن يتخذ أبويه أصدقاء وإخوته
رفقاء وزوجته إلفا وبنيه ذكرا وبناته خصما وأقاربه غرما
والعلماء أولياء والجيران أقرباء ويعد نفسه فردا وحيدا فذكروا
رقبة الجيران وحضوا على توقيها فكيف بالجار العدو وأما

Copyright © King Saud University